المجال العام في الجزائر بعد عام ٢٠١١
دراسة بين الواقع والطموح

م.محمد سلمان صالح
Mohammedjubouri76@gmail.com
كلية الهندسة-الجامعة المستنصرية

الملخص

أن استعمال المجال العام في الغرب ، ساهم في التطور الاجتماعي، والاقتصادي، والسياسي ، وساهم في تشكيل ساحة للرقابة على السلطة السياسية والمشاركة فيها، إما في المجتمع الجزائري ، وفي مجتمعات دول عالم الجنوب، فأنه قد تحول إلى أداة تستعملها السلطة في التحكم في الوضع الاجتماعي وللانفراد في الحكم، إن هذا الدور العكسي للمجال العام في مجتمعات دول عالم الجنوب لا يمكن استيعابه، إلا عندما يدرس ضمن إطار اشمل ، يتبنى التاريخ السياسي الذي تشكلت فيه الدولة التاريخ الاجتماعي الذي أنتج الطبقات الاجتماعية الحالية، وان للمجال العام تأثير قوي عن طريق المقاهي المنتشرة في البلاد وكذلك المنتديات والمسارح المتمثلة بالنوادي والساحات ،وتأثيره على السلطة والطبقات الاجتماعية، ولهذا يعتبر المجال العام ساحة للتحول من المجتمعات الشمولية في المجتمع إلى المجتمعات الديمقراطية.

الكلمات المفتاحية:المجال العام،التطور الاجتماعي،الاقتصادي،السياسي، الجزائر

The public field in Algeria Post-2011 Study between reality and ambition

Instructor: Muhammed Salman Saleh
Al-Mustansiriya University - College of Engineering

Abstract:

The use of the public field in the West has contributed to the social, economic and political development and has contributed to the formation of an arena for the control and participation in political power, either in Algerian society or in the countries of the world of the South, It has turned into a tool used by the authority to control the social situation and to monopolize the rule of the countries of the world of the South cannot be except when it is studied within a broader framework, adopting the political history, the social history that produced the current social classes, and that the public sphere has a strong influence through the widespread cafes In the country, as well as forums and theatres represented by clubs and squares, and its impact on power and social classes, and for this reason, the public field is considered an arena for the transition from totalitarian societies to democratic societies .

Keywords: public field, social, economic, political development, Algeria

المقدمة

مما لاشك فية– من إن العلوم الإنسانية، والاجتماعية بقيت في دول عالم الجنوب، واجهت ولمدة طويلة عقبات سياسية واجتماعية، ساهمت في الحد من إنتاج علوم ومعارف لهذه البلدان ،فالأوضاع السياسية، التي مرت مجتمعات هذه الدول كانت ومازالت تمثل عقبه في طريق هذه العلوم، بسبب استغلال الأنظمة السياسيه الموجوده في هذه المجتمعات للعلوم الاجتماعية، وتسخيرها لخدمه مصالحها السياسية. وهنا أذ ادت المعوقات النظرية دورآ كبيرآ في التأخر الذي كانت ومازالت تعاني منه العلوم الانسانيه ، في دول عالم الجنوب وعلى العكس من ذلك نجد أن الدول المتقدمة قد تطورت فيها العلوم الاجتماعية والنظريات.

وفقا لذلك يعد مفهوم المجال العام ، واحداً من المفاهيم المهمة، التي يعتمد عليها في دراسة العلاقة والترابط بين السلطة المجتمع في المجال ، والمضمون السياسي ،وعليه فأن مفهوم المجال العام قد احتكر استعماله لمدة طويلة على دراسة المجتمعات الغربية، أما المجتمعات الأخرى، فإن استعماله لدراستها يعد امرآ غير معمول به ،ومن هنا نجد أن نشأة المجال العام لم يكن ممكنا لولا تفاعل ظروف اقتصاديه، واجتماعية ، وكذلك سياسيه (اقتصرت في أوربا الغربية) على وجه التحديد ودفعت الى تحول، ان هذا المدلول له خاصية من خصائص المجتمع الديمقراطي الحديث ، فضلاً عن متغيرات ظهرت في اوربا في بداية القرن (الثامن عشر) الميلادي والذي ادى الى ظهور مجتمع مدني متحرر من سيطرة الاقطاع، والكنيسة ، مما انتج الى تبلور وظهور المجال القائم على المواطنة وحكم القانون ، وفي هذا المجال نجد نشأت وتطور المجال العام بطابعه (الادبي) وصولاً الى المجال العام،الذي انتشر في دول العالم ، هذة الظروف او البيئة الملائمة لم تتوفر او تظهر في عالمنا العربي في بدايه الامر، بسبب الهيمنة الاستعمارية كما هو الحال في اوربا، التي تحررت وتفاعلت مع كافة الظروف وفضلاً عن التيارات الفكرية، التي ظهرت من المنظرين والفلاسفة وكذلك ظهور المدارس الحديثة ، الا انه أي المجال في الدول العربية ظل محدودا الوجود بسبب عوامل عديدة منها القمع الامني، والاستبداد والهيمنة على الشعوب وتضيق المشاركة السياسيه في الحياة السياسية، وكان المجال العام انذاك محصورا على المقاهي، والساحات، والشوارع، والمساجد،حتى وصل الحال الى عصرنا الحالي والقائم على وسائل التواصل الحديثة، والتقدم التكنلوجي، عن طريق مواقع التواصل الاجتماعي (الانترنت) .

وعليه من هنا بدأ التفكير لدى الكثير من المفكرين في أعادة النظر في فكرة استعمال هذا المفهوم في المجتمعات الغربية ،دون غيرها ،أذا يقنوا أن الدلالات الجديدة لمفهوم المجال العام أن تساعد ف تحليل ودراسة مدن ومجتمعات عالم الجنوب.

أهمية البحث

تنطلق أهمية البحث من خلال تسليط الضوء على واقع المجال العام في الجزائر والبحث في أبرز التحديات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التي تواجه ذلك الواقع ومحاولات الإصلاح من قبل القائمين على إدارة مؤسسات الدولة لتحقيق الطموح المنشود في الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي للبلد.

إشكالية البحث

ترجع الإشكالية الى صعوبة تحديد الأسس والمرتكزات التي يستند عليها النظام السياسي في الجزائر لضبط مجاله العام داخليا ، وخارجيا، بسبب المؤثرات الداخلية ، فضلا عن العوامل الخارجية، والتي اضحى بموجبها البلد يعيش بحالة من عدم الاستقرار وهنا يطرح عدد من الأسئلة، يمكن الاجابة عنها في ثنايا البحث وهي: ماذا يعني بالمجال العام؟ والى أي مدي يستطيع النظام السياسي ضبط مجاله، وما هي المعرقلات امام النظام لتحقيق الاستقرار الشامل ؟

فرضية البحث

ينطلق البحث من فرضية مفادها _أن المجال العام يتناسب طريا مع استقرار البلد وعليه عدم الاعتماد على المجال العام يعد سبباً رئيساً في حالة عدم الاستقرار السياسي في الجزائر موضوع البحث وما ترتب عليه من ظواهر الفساد ، وضعف في التنمية المستدامة .

منهجية البحث

تم استخدام المنهج التاريخي ، في تتبع وتحليل ورصد مفهوم وبنية المجال العام من حيث تكونه ونشؤه من حيث التحولات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، وكذلك المنهج الوصفي الذي يستخدم لوصف المجال العام الجزائري وتحليله وفقا لمعطيات التنمية والاستقرار السياسي .

المبحث الأول : المجال العام المفهوم والنشأة

اولاً – مفهوم المجال العام .

مما لاشك فيه – إن الكتابة في بحث عندما يتأهب الباحث للقيام به ، يتطلب ذلك تحديد، ولو بشيء من الإيجاز، المفاهيم الرئيسة والتي تأخذ مكاناً في بحثه، وفي بحثنا هذا لابد من ان نهتدي بمفاهيم أساسية وهي : تحديد مفهوم المجال العام، لكي يستطيع الباحث والقارئ معاً من الاسترشاد والإدراك لاستيعاب معنى هذا المفهوم – بطريقة علمية منهجية سليمة لحيثيات البحث دون إرباك او ملل وبشكل موجز ، وسيتم تناول ذلك بالاتي :

إن مفهوم المجال العام نشأ في أحضان علم السياسة، ثم انتقل الى تخصصات علمية متعددة ،لذلك فإن الجدل مازال قائما، حول دلالاته ومعانيه، وإن هذا المفهوم يستمد قوته من الجدل والغموض ، الذي اكشفه وثمة ميزة اتسم بها هذا المفهوم الا وهي (الليونة) التي جعلته ذات فائده نظريه ومنهجيه، وعن طريقها يمكن الانتقال من حقل معرفي الى اخر، من دون أن يفقد معناه الأولي. وعليه تشير بعض الدراسات الى أن ولادة مفهوم (المجال العام) يرتبط بمؤلفات الفيلسوف الألماني (يورغن هامبرس) في بداية ستينيات القرن الماضي[1] .

١– عبد القادر لقجع، علم الاجتماع و المجتمع في الجزائر. دار القصبة. الجزائر ، ٢٠٠٤ ، ص٩١.

ويقوم المجال العام هنا على (مجموعه من الاشخاص الذين يجتمعون من اجل النقاش حول مواضيع تكتسب طابع المصلحة العامة او المشتركة) وفقا لما يقوله عالم اجتماع الالماني (هامبرس) ويعني (المجال) عنده ماهو قائم على ارض الواقع فعلاً، والثاني فلسفي اي على نحو ان يقوم او ان يكون عليه المجال العام الذي لابد ان يؤدي دولة القانون، والديمقراطية، التي تتمع بالمشروعية ولا تتحقق الأخيرة، الا عن طريق مشاركة اشخاص فاعلين في الشأن العام، والذين يمتلكون في نظرة السلطة، لا تقل شأناً عن السلطة السياسية، والقانونية ([٢]) .

فقد قام هذا المفكر بدراسة تاريخية سوسيولوجيه لهذا المفهوم، منذ نشأته، وحتى العصر الحديث، وأشار في كتاباته الى مبدأ (الاشهار)، باعتباره احد الأسس الشرعية لممارسة ألرقابه، على السلطات السياسية، من جانب افراد الطبقة البرجوازيه، الذين يجب عليهم أن يكونوا قادرين على التفكير، والنقد، كما أشار هذا الكاتب أيضا إلى الكيفية ، التي ظهر بها المجال الخاص البرجوازي، في القرن (الثامن عشر) ابتداءً من نشأته كنوادٍ أدبيه، إلى أن اصبح محورآ للنقاش السياسي، بعد قيام الثورة الفرنسية، وكان يرى أن تسيس الحياة الاجتماعية ، في فرنسا بعد الثورة الفرنسية، ساعد في تحول المجال العام البرجوزاي، الى سلطة مضادة لسلطة الدولة، بسبب تطور الصحافه، وكفاحها ضد الرقابة المفروضه ، عليها من قبل الحكومة [٣]

٢-- احمد جلال عز الدين، حركات التطرف الديني في المغرب العربي، المركز القومي لدراسات الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٩٤، ص٤٦.

٣- إدريس بوكر واحمد وافي، النظرية العامة للدولة وللنظام السياسي الجزائري في ظل دستور ١٩٨٩، المؤسسة الجزائرية للطباعة، الجزائر، ١٩٩٠ ، ص٨٢

وعليه فعند دخول التقنيات الحديثة في وسائل الاتصالات والبرمجة وتطور ألصحافه، اخذت الطبقه البرجوازية، بتوزيع دائرة قراءتها على وفق التقنيات الحديثة، المستعملة في الطباعة والنشر، وتمتع افراد هذه الطبقه، بحريه النقاش المتداول داخل المقاهي، والمنتديات الادبيه[٤] .

وفي الوقت نفسه هنالك من يعرف المجال العام بأنه (مجال للممارسات الفكريه القائمه، على استعمال العقل، والمنطق من جانب افراد ترتبط امكانياتهم النقديه بنوعيه قراءتهم ومشاهديهم، الذين جمعتهم متعه الحوار التعايشي، ولا ترتبط بانتمائهم الى جهاز حكومي أو الى بلاط الملك[٥]. وتشير المفكرة الامريكية انا اروند (Hannah Around) الى المجال العام بأنه " عبارة خشبة مسرح، يظهر ويستعرض عليها، وفيها الفاعلون الاجتماعيون انفسهم، وقدراتهم، ويؤدون عليه اومن خلالها، ادوارهم حسب موقعهم الاجتماعي[٦] [١]اما بالنسبة الى ريتشارد سانت (Richarde,sannete) فانه يعد المجال العام هو مكان "للروئية الاجتماعية، والظهور للعامة، فهو مكان مفتوح للجميع، ويمكن لهم مشاهدة ما يجري عليه من احداث يومية[٧] ، وان المجال العام هو مساحة قد تكون مادية، او افتراضية، يحث فيها مجاميع الافراد، كجمهور، مهما اختلفت توجهاتهم، وأفكارهم ، وأرائهم، دون ضغط او تهديد من جهة معينة، بحرياتهم، وقد عزز المجال العام، الدور في المقاهي، والنوادي الادبية، واصبحت المقاهي، سبباً في تطور الثقافة العامه واصبح الناس قادرين، عن التعبير بأرائهم

٤- ألحمد علي خليفة، جمهورية الجزائر، مكتبة الشعب، القاهرة، تاريخ بلا ، ص١٢٩.

٥- عنصر العياشي، نحو علم اجتماع نقـدي، دراسـة نظريـة و تطبيقيـة، ديـوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ١٩٩٩، ص٦٨.

٦- بسام العسلي،ايام جزائرية خالدة ،طبعة اولى،دارالنفائس، ١٩٨٢، ٧١.

٧- حسين وراده،الإصلاحات السياسية في الجزائر، دندن، نوفمبر، ١٩٩٦، ص١٩٥

وأفكارهم بنقاش وتبادل الاراء بالنقاش العقلاني الناقد على توضيح الأمور، والمسائل السياسية المؤثرة التي تخدم المجتمع .

ثانياً : نشأة المجال العام

إن نشوء المجال العام، مرتبط ارتباطاً وثيقاً بالنقاشات والحوارات، التي تتداول في المقاهي، والنوادي الأدبيه، والتي تمس قضايا المجتمع، واوضح المفكر الالماني (يورغن هامبرس) ان نشوء المجال العام يحتاج الى مكان (مجال)يجمع المتحاورين، والناقدين، والمشاهدين، من افراد الطبقه البرجوازية ، عليه وبداية ظهور اشكال الدولة، عرفها العالم العربي والاسلامي ، كانت بقيام الدولة الاسلامية وظهور الدين الاسلامي، واستطاع الأخير ان يحد من الصراعات القبلية ويقضي عليها تماما وقام بنقل ولاء هذة الجماعات (القبائل) الى ولاء الدولة المركزية، والانفتاح نحو المجال العام[٨] . ومن هذا يتبين السبب الذي أخر ظهور او نشأة هذا المفهوم في أوربا، الا وهو عدم وجود (مكان) للتحاور، والنقاش، إلا أن اعطاء الطابع المادي (المكان) على هذا المفهوم لاقى رفضا كبيراً من بعض المفكرين، والكتاب، ومنهم من كان يرى بأن المجال العام، لم يكن دائماً مكانا للاجماع الديمقراطي الحر أذ انه كان مجالاً صراعيا يعبر عن العلاقات الاجتماعية، التي تسودها اللامساوات، وسيطره الاقوى [٩]، وبعضهم الاخر يرى بأن المجال العام، لم يكن حكراً على الطبقه البرجوازية والطبقه

٨-رياض صيداوي ،صراعات النخب السياسية والعسكرية في الجزائر،طبعة أولى،المؤسسة العسكرية للدراسات والنشر، ٢٠٠٠ ، ص ٤٤.

٩- أحمد حلواني ، المدينة العربية و مجال تطوير فضاءاتها الحياتية، مجلة الباحث الاجتماعي. العدد ٠٧ /مارس ٢٠٠٥ ، ص٢١٩.

المثقفه فقط، بل ضم أيضاً مختلف طبقات المجتمع ([١٠]) وفضلاً عن ذلك إن المجتمع الذي يتبنى مفهوم (المجال العام)يتمكن من تسيير شؤونه ويكون قوة مضاده يمكنها التنافس، مع السلطه، في اتخاذ القرارات والتمركز داخل هرم الدولة[١١].

وقد خلص (هامبرس) بأن الأساس الذي ارتبط اولاً و أخيرا بانجاز مشروع ديمقراطي حقيقي يرتكز على دعائم مشروعة نابعة من " الفضاء العام " ،ممثله "بالمواطنة" التي تقوم على ؟مبدأ المساواة بين كافة المواطنين، تحت فضاء الدولة الوطني الجامع لجميع المكونات التي لا تفرق بين مواطنيها فضلاً عن المساواة بين الحقوق والوجبات كافة [١٢].

المبحث الثاني : واقع المجال العام في الجزائر والطموح

نحاول في هذا المبحث التعمق في سير أغوار المجال العام، في الجزائر في مختلف المراحل التاريخية، من فترة الاحتلال الجزائري، الى فترة الاستقلال، وتشكيل النظام السياسي الجديد وفقاً لما يلي:

أولاً : ظروف وواقع الاحتلال الفرنسي.

ان حاول المستعمر الفرنسي القضاء على إشكال التنظيم الاجتماعي والثقافي والاقتصادي للجزائر، ومحاولة القضاء على الهوية الجزائرية، ادى الى تراجع المجال العام ونلاحظ فقدان الحرية و الديمقراطية في الجزائر والتي عاشت عهود طويلة تحت السيطرة الاجنبية، ولم يسمح المحتل بنشوء دولة مدنية معاصرة، قائمة على اساس القانون والمساواة، بين افراد الشعب، مما ادى الى

١٠- خيري عبد الرزاق جاسم، الدور السياسي للمؤسسة العسكرية في الجزائر،مركز الدراسات الدولية،جامعة بغداد، ٢٠٠٥، ص ٧٣.

١١-رياض صيداوي، صراعات النخب السياسية والعسكرية مصدر سبق ذكره ، ص٣٩.

١٢- نفس المصدر .

تعدد الانتماءات اللغوية، والقومية والدينية، والسياسية للمواطن الجزائري وغير ذلك من انتماءات فرعية اخرى في فترة الاحتلال[١٣]، وهذا يعني ان معظم البلدان العربية، ولاسيما الجزائر عاشت تحت الاحتلال الفرنسي ما يقارب (١٣٠) سنة من التخلف التبعية والقهر ، ومصادرة الحريات والموارد وقمع والتنكيل بالجمهور كل ذلك ادى الى ضعف دور المجال العام في شتى المجالات[١٤]. مما ذكر لم تظهر او تحقق حقبة تاريخية متواصلة ابان الاستعمار الفرنسي للجزائر، بأن لهم مجال عام مثقل بحد ذاته عن المستعمر الفرنسي، بل كان الاحتلال مستبد، ومحتكر، لكافة المؤسسات السياسية والانشطة العامة، وكان المحال العام ضعيف اثناء فترة الاحتلال[١٥] وعليه حاول المحتل الفرنسي، ترسيخ (اللغة– والثقافة الفرنسية) بدلاً من اللغة العربية ، لا شك ان اللغة تمثل الوسيلة الاساسية الرئيسة للتواصل، وتبادل الآراء والافكار داخل المجال العام[١٦].

وهنا يعد الاحتلال الفرنسي معوق رئيسي في تحقيق الاستقرار والتنمية، بل كانت مصالحهم أولاً، وهذا ما جاء بالتقرير الفرنسي الذي نشر عام ١٩٤٨ والذي نص على (الجزائر لن تصبح فرنسية الا عندما تصبح اللغة الفرنسية لغة

١٣– رياض صيداوي ،الانتخابات والديمقراطية والعنف في الجزائر، في سليمان الرياش وآخرون ،الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، ١٩٩٩، ص١٥٧

١٤–صلاح العقاد، محاضرات عن تطور السياسة الفرنسية في الجزائر، مطبعة الرسالة، القاهرة،١٩٦٠، ٢١٨.

١٥– علي بو عناقة ودبله عبد العالي،الدولة وطبيعة الحكم في الجزائر،في سليمان الرياشي وآخرون،الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ١٩٩٩، ص ٧٨

١٦– بول بالطا وكلودين ريللو،إستراتيجية بومدين، ترجمة خليل احمد خليل، طبعة أولى ،دار القدس،لبنان، ١٩٩٩، ص٢٧١ .

قومية فيها وجعلها اللغة الرسمية بين الأهالي وتكون بديلة عن اللغة العربية وجعل الجزائريين يندمجون وتابعين لفرنسا)[١٧] . بمعنى أخر إن يتكلمون اللغة الرسمية للبلد يكونون عنصر فعال في المجال العام[١٨].

وفي تلك المرحلة الصعبة من تاريخ وواقع الجزائر فقد عملت فرنسا إلى تمزيق حياة الشعب الجزائري من خلال أفتعال الأزمات والمشاكل بين (العرب- والبربر) لغويا ، وثقافياً، إذ قامت بإحياء التراث البربري واللغة البربرية[١٩] إذ فعلت الشخصية الامازيقية عن العرب لغة – وثقافة، وحضارة، بعد أن فشلت في خلق أزمة طائفية دينية، من خلال ادعائهم أن العرب غزاة محتلين الأرض الجزائرية عبر حجج واهية[٢٠].

وفي الوقت نفسه قامت فرنسا بالدعوات التبشيرية ، ولاسيما في منطقة القبائل (البربر) من خلال إغلاق المساجد والمدارس الدينية، وتحويل المساجد الى كنائس، ولكنهم فشلوا في ضرب الدين الإسلامي لأن الاخير اي الإسلام ترسخ في وجدان الشعب الجزائري فكرا وثقافة، بكل أطيافه وهو الجامع بين (العرب- والبربر) رغم اختلاف القومية[٢١].وقيام المحتل الفرنسي بتغير ديمغرافي في الأراضي الجزائرية عبر جلب مواطنين فرنسيين وتسكينهم في هذه الأراضي

١٧- خيري عبد الرزاق جاسم مشكلة الاندماج الوطني الجزائري بغداد ٢٠١١- ص٣٦-٣٧

١٨- العياش عنصر،سوسيولوجي الازمة الراهنة ،في سليمان الرياشي واخرون، الازمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،مركز دراسات الوحدة العربية ،بيروت، ١٩٩٩، ص ٧٣.

١٩صلاح العقاد، محاضرات عن تطور السياسة الفرنسية في الجزائر، مطبعة الرسالة، القاهرة، ١٩٦٠ ، ٢١٨.

٢٠- علي بو عناقة ودبله عبد العالي،الدولة وطبيعة الحكم في الجزائر،في سليمان الرياشي وآخرون،الأزمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ١٩٩٩، ص ٧٨.

٢١- بول بالطا وكلودين ريللو،إستراتيجية بومدين، ترجمة خليل احمد خليل، طبعة أولى ،دار القدس،لبنان، ١٩٩٩،

الجزائرية مما ذكر سابقا أن المجال العام في فترة المحتل الفرنسي كان يعاني من الضعف نتيجة الانقسامات الفئوية، بين الشعب الجزائري، وتفعيل المصلحة الخاصة، على حساب المصلحة العامة.

ثانياً : مقومات المجال العام في فترة الاحتلال الفرنسي :

أصبحت هنالك عقبات اجتماعية، واقتصادية، وفجوة كبيرة بين المحتل والمجتمع الجزائري، ولم يسمح المحتل بنشوء دولة قائمة على اساس القانون والمساواة بين أفراد الشعب كما سبق ذكرها مما تعددت انتماء المواطن (اللغوية والقومية – والدينية– والسياسية) وغير ذلك من انتماءات فرعية أخرى ، وكان يسود المجتمع الجزائري الطابع القبلي[٢٢]، حيث كان ولاء الفرد للقبيلة اكبر من ولاءه للدولة بين المحتل، وبين انعدام التعليم، في مدن القبائل الجزائري، وصراع القبائل والتعصب القبلي، القائم على أساس المتمسك بالعادات والقيم والأعراف القديمة الذي أدى إلى ضعف واضح في المجال العام، وكذلك وجود عقبات أدت الى ضعف واضح في المجال العام ، وفضلا عن وجود عقبات اقتصادية، في فترة المحتل فمنها الفقر والمجاعة، والبطالة، وقلة الموارد، بسبب استحواذ المحتل عليها وانتشار الامية كل ذلك ادى الى حرمان الشعب وعرقلة مسألة نشوء المجال العام[٢٣]. وعلى الرغم من ضعف المحال العام في الجزائر فترة الاحتلال، الا ان أمور عديدة نشأة ومنها: تطور وقيام الحركة الوطنية المناهضة للاحتلال، إذ قام الباحث والمفكر الجزائري (صالح فيلالي) بتقسيم هذه المرحلة على اربع مراحل:

٢٢–منعم العمار، التعددية المكلفة ،في سليمان الرياشي واخرون ، الازمة الجزائرية الخلفيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ،مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٩٩ ، ص ٢٩.

٢٣– غانم ابراهيم اصول المجال العام وتحولاته في الاجتماع السياسي الاسلامي مجلة الاجتماعية القومية، ٢٠٠٩، ص ٤٦–٤٨

١- المرحلة الاولى (١٨٣٠- ١٨٧٠) ومن أبرز وقائعها المقاومة الوطنية التقليدية للحكم الاستعماري الفرنسي، المتمثلة في ثورات القبائل ضد المستعمر

٢- تميزت المرحلة الثانية (١٨٧٠- ١٩١٠) بظهور حركات داخل المدن بعد ما تمكن المستعمر من القضاء على المقاومة المسلمة.

٣- تميزت هذه المرحلة (١٩١٠-١٩٥٤) بظهور حركات داخل المدن وتحولت من التعاون مع المحتل الى معارضه.

٤- بينما تميزت هذه المرحلة إي الرابعة الممتدة (١٩٥٤- ١٩٦٢) بنشاط جماهيري ثوري ادى في النهاية الى حصول الجزائر على الاستقلال عام ١٩٦٢والتي وضحت بمشاركة كل الشعب من خلال توزيع المنشورات والكفاح المسلح المتمثل بالاستقلال الوطني، وإعادة سيادة الدولة[٢٤] وتشكل هذا النجاح باستقلال وتحرير الجزائر وإعلان الجزائر جمهورية ديمقراطية[٢٥] .

ثالثاً: المجال العام في عهد الاستقلال الجزائري.

ان تأسيس النظام السياسي الجزائري بعد التحرير من المحتل الفرنسي، قد افرز واقعا جديدا فقد ووجدت الجزائر نفسها أمام ظروف سياسية، واقتصادية، واجتماعية، صعبة إذ استطاع المستعمر من تفكيك البنية الاجتماعية، للدولة [٢٦]، لذلك عمل النظام السياسي بعد الاستقلال على تعزيز الوحدة الوطنية، وسعى

٢٤-محمد عبدالباقي هرماسي ،التغيير الاجتماعي ومضاعفاته السياسية في المغرب العربي ،في غسان سلامه و اخرون ، ديمقراطية بدون ديمقراطيين ، مركز دراسات الوحدة العربية،بيروت، ١٩٩٥، ص١٦٦.

٢٥- عبد الباسط دردور ،العنف السياسي في الجزائر وأزمة التحول الديمقراطي ،طبعة أولى ، دار الأمين للنشر والتوزيع،القاهرة، ١٩٩٦، ص٩٨.

-[26] AL_ AIawi,Rashid (2014) The pubic space from Habermas to Nancy Fraser Journal of The PeIta. N.P

النظام السياسي، في مختلف المراحل التاريخية، ما بعد الاحتلال إلى الاستيلاء، على المجال العام بكافة المجالات (المادية، والثقافية، والاجتماعية، والاقتصادية)، لهذا يتضح إن المجال العام في الجزائر متعدد ومتغير من مرحلة تاريخية إلى أخرى[٢٧] . وأمام التقدم التكنولوجي اخترعت السلطة إشكالا جديدة للسيطرة على المجال العام، ومنها على سبيل المثال الصور العملاقة المثبتة في العمارات لشخص الرئيس واللوحات الكبيرة المطلة على الساحات، والأماكن الترفيهية، في المدن الكبرى[٢٨] فضلاً عن ذلك نجد الكثير من المجالات العامة المتمثلة بـــ(حدائق ،ساحات، شارع) والتي يستخدمها التجار المتجولون، لغرض عرض سلعهم فيها وكسب قوتهم اليومي[٢٩]. ومما جعل المجال العام يفقد وظيفته الأساسية التي أنجزت من أجلها، وان الكثير من الممارسات الاجتماعية، غير أخلاقية (المنحرفة) كالدعارة، وتعاطي المخدرات، والعنف، والتحرش الجسدي، واللفظي، وأصبحت هذه الأماكن ملاجئ منبوذة، ومحرمة أخلاقيا، هذا مما أدى إلى ضعف المجال العام[٣٠] .

وعليه ان مؤشرات ما تقوم به الدولة وفق منطق الأقل ضرراً بمصالح النظام (السياسي والاجتماعي) اذ كما يقول الباحث الجزائري (سيدي بومرني رشيد) تسمح الدولة بدرجات معنية من الفوضى، المادية في المدينة، بهدف السيطرة

٢٧- غانم ابراهيم اصول المجال العام وتحولاته في الاجتماع السياسي الاسلامي مجلة الاجتماعية القومية، ٢٠٠٩، ص ٤٦-٤٨

28- Fraser, Nancy (1990) Rethinking the PupIic Sphere and Contribution to the Critique of A ctuaIIy Existing Democracy university Press UK

[٢٩]ناظم الجاسور ،الجزائر محنة الدولة ومحنة الإسلام السياسي، طبعة اولى ، دارالمسيرة للنشر والتوزيع والطباعة،عمان، ٢٠٠١ ، ص ٨٩.

٣٠- مجدي حماد، العسكريون العرب وقضية الوحدة، طبعة اولى، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ١٩٨٧

التامة على الوضع الاجتماعي، والتحكم بطرق غير قانونية بالاستعمالات ذات الطابع السياسي- ولو سلميا وقانونيا للمجال العام، وقد يؤدي ذلك الى بروز قوى داخلية اجتماعية جديدة، تنافس السلطة وهذه الممارسات أفرزت إلى قيام الكثير من القوى الاجتماعية الرسمية ، وغير الرسمية، إلى المجال العام من اجل مطالبة تحسين الواقع الاجتماعي، للشعب من خلال توفير فرص عمل ومطالبة بتغير الواقع السياسي، (حرية الرأي- والتعبير عن العدالة الانتقالية الاجتماعية) وقد انتشر هذا المجال في الجزائر منذ احداث اكتوبر ١٩٨٨ وما افرزته من تغيرات عميقة في البناء الاجتماعي والسياسي للدولة، ولقد تحول المجال العام الى صراع بين مختلف التيارات الأيدلوجية، والسياسية، من جهة وبين الفئات الاجتماعية من جهة أخرى[٣١] .

رابعاً: واقع المجال العام والحركات الإسلامية:

بدأ المجال العام هدفاً استراتيجياً للجماعات الإسلامية، الموجودة في الجزائر، التي ظهرت بشكل كبير بعد تحرير الجزائر، من الاستعمار الفرنسي، وسيطرتها على المعتمد السياسي بعد الانتخابات التشريعية التي حققت هذه الجماعات الاسلامية (الجمعية الإسلامية للإنقاذ)، فوز كبير في الانتخابات على باقي الاحزاب الاخرى ولقد اتخذت في المراحل الاولى لظهورها من المسجد مكان مقر لاجتماعاتها ومنبراً لنشر الأفكار والقيم الاجتماعية، وتحولت إلى حزب سياسي قانوني بعد دستور عام ١٩٨٩ زاد من نقدمها واحتلالها للمجال العام وسيطرتها على المجالس المحلية، بعد فوزها بأغلبية المقاعد البرلمانية، في بلد مفتوح بكافة التأثيرات الخارجية الأيدلوجية واستطاعت التحكم، في مفاصل

٣١- يورغن هامبرس و اخرون ، قوة الدين في المجال العام ، ترجمة فلاح رحيم ، بغداد مركز دراسات فلسفه الدين ، ٢٠١٣ ، ص٨٢.

الدولة ،مما زاد من سيطرتها على المجال العام، من خلال مجموعة من الأحكام، والإجراءات، التي اتخذتها وقامت ببناء المساجد لتسهيل ومراقبة، الإحياء والعمل والسيطرة، بشتى الطرق على الجامعات، والأماكن الترفيهية العامة، وعملت الجماعات الاسلامية إلى استحداث فكرة شبابيك بدوائر الحكومية خاصة بالإناث في المؤسسات والدوائر الإدارية وغيرت الكثير من الشعارات الموجودة في المؤسسات والبلديات، ولكن بعد إلغاء الانتخابات التشريعية، لجأت هذه الجماعات، إلى استعمال العنف في المجال العام، وذلك من خلال ما يأتي: تنظيم المظاهرات و الاعتصام في الشوارع للجماهير، ومن ثم انتقلت هذه الجماعات الاسلامية الى المواجهة (المسلمة) مع قوات الأمن الحكومي، ومع كل من يخالف توجهاتها الأيدلوجية ، إذ تحول المجال العام، إلى ساحة للتفجيرات والاغتيالات اليومية، وضع الخروج والدخول من المجال الخاص في الكثير من المدن بعد تدهور الاوضاع الامنية في البلاد، وكان هدف هذه الجماعات السيطرة على الحكم وتمدد الواقع الاجتماعي، وهذا أدى إلى ظهور العنف، وغياب أو ضعف الامن، لا يمكن الحديث عن وجود مجال عام يضمن للجماهير مساحة كافية تتيح لهم على القدرة على حرية التعبير وتضيق المساحات على الفعاليات الأخرى [٣٢].

ومن خلال ذلك يتضح إن المجال العام يمكن أن يتحول إلى رهان سياسي واقتصادي للطبقات الفقيرة (Unenjeu politique) بين الجماعات والأحزاب المتصارعة من جهة ، توبين السلطة الحاكمة. وعليه ظهرت في فترة الثمانينات في المجتمع الجزائري، إشكال جديدة من الممارسات الدينية، مما خير الجماعات

٣٢- احمد جلال عز الدين،حركات التطرف الديني فيا لمغرب العربي، المركز القوميل دراسات الشرق الأوسط، القاهرة، ١٩٩٤ ، ص٥٢.

الإسلامية، من خلال اللباس (السروال القصير) اللحية الطويلة، وعدم اختلاط الجنسين في الأماكن العامة، وعدم الاختلاط مع من يخالفهم الرأي والفكر، في المجالات العامة، وهذا التحول الذي عرفته الجزائر بدأ في المساجد لنشر القيم الدينية السلفية، ومركزاً للتعبئة الأيدلوجية واستعمال الخطب الدينية، في نقد الواقع الاجتماعي، والسياسي، واتخذت هذه الجماعات من الظواهر الاجتماعية السلبية، مادة سياسية لكسب تعاطف الناس، معها فشكلت هذه الجماعات جمعيات خيرية لمساعدة، وتحويل الفقراء، وتجنيدهم ضد السلطة، مما زاد من ظهور قيم وافكار هذه الجماعات في المجالات العامة، ففي المجال الرسمي، قامت هذه الجماعات بتنفيذ شعارات وخطابات للمدن من "الشعب الى الشعب" وأقاموا بمسيرات جماهيرية، مطالبين بإقامة الدولة الإسلامية الملبية لطموح وتطلعات الشعب، ومحاربة كل ما يدعي بالعلمانية، وهذا أدى إلى ضعف المجال العام [٣٣].

خامساً: الخطاب الاجتماعي والممارسات في المجال العام .

لا نجد مفهوم المجال العام الاجتماعي، في الإشارة على التعبير إلى الأماكن العامة، الساحات والحدائق، والشوارع والأرصفة، إن هذه الخطابات الشعبية للمجتمع الجزائري قبل وبعد عام ٢٠١١، يشير إلى الأماكن التي تقع خارج المنزل في الأماكن العامة وهذه الخطابات التحريضية ضد السلطة[٣٤] وهذا التعبير المراد يرسم الحدود بين المجال الخاص، والعام، مما أدى إلى ضعف الرقابة الاجتماعية غير رسمية التي تقوم بها بالمدن[٣٥].

٣٣- أنور هدام ،التجربة السياسية للحركة الإسلامية في الجزائر والنظام الدولي الجديد، من عزام التميمي وآخرون ،مشاركة الإسلاميين في السلطة، لندن، ١٩٩٤، ص٨٥.

٣٤- جوزيف شومبيتر ، الراسمالية والاشتراكية والديمقراطية ، ترجمة حيدر حاج اسماعيل ، مركز دارسات الوحدة العربية ، ٢٠٠٦ ، ص١٨٣.

٣٥-علي الكنز عبد الناصرالجزائري، الكتلة الاجتماعية الجديدة، المستقبل العربي، عدد ١٨٣,١٩٩٤، ص٢٩.

سادساً: التغيرات السياسية واستعمال المجال العام .

إن الاستعمال السياسي للمجال العام يعد من أهم المؤشرات التي تظهر لنا في الاستعمالات العامة والتحولات السياسية التي شهدتها الجزائر منذ الاستقلال إلى يومنا هذا. اذ ان الانظمة السياسية التي حكمت الجزائر بعد الاستقلال، سعت في مختلف المراحل التاريخية الى الاستيلاء على المجال العام، بمختلف الإشكال المادية، والمعنوية ، من موارد سياسية التي يستخدمها النظام السياسي، شرعية في السيطرة والحكم عرفت الجزائر، حراكاً سياسياً على مختلف الأصعدة في احداث ١٩٨٠ في منطقة القبائل الجزائرية (مطالب ثقافية باللغة الامازيقية) وبدأت مواجهات عنيفة بين الجيش الحكومي والقبائل في ٥ أكتوبر ١٩٨٨، مما أدى إلى تغيير نظام الحكم في الجزائر، وفتح المجال لظهور أحزاب سياسية، وبدأ استعمال جديد للمجال العام، من خلال بناء وتشيد الكثير من نصب تذكارية، مستلهمة للتاريخ الجزائري، وكذلك ما رافق من إحداث انتخابات عام (١٩٩٢) ومنافسة بين السلطة والأحزاب، رافق ذلك استعمال العنف في المجال العام، أدى ذلك إلى اعتصام وتظاهرات جماهيرية، لمواجهة السلطة عندئذ شعرت الدولة بفقدان سيطرتها على المجال العام، ورأت الجماهير والاحزاب على إن " خصوصية المجال العام" من طرف السلطة الحاكمة، وهذا ما أعطى العلاقات السياسية والاجتماعية في المجال العام طابعاً صراعياً بين مختلف الأحزاب المتنافسة، على السلطة ،يجب إن يكون المجال العام حرا [٣٦].

وهنا دخلت الجزائر في أزمة أمنية كبيرة، ومعقدة، مما حول الشارع الجزائري، في فترة التسعينات في كافة المدن الى مجالات خطيرة، وفي بداية الألفية الثالثة، على الرغم من اعتبار العنف السياسي في الجزائر بشكل واضح الى أن المجال

٣٦- لحسن بركة، مبادؤنا بين جموح السياسة وخيار الشعب، طبعة أولى، المسيلة، ١٩٩٢ ، ص٣٤.

العام السياسي، يمكن إن نعتبره تواصل ومستمر، والإفرازات التي سادت فترة التسعينات، وأصبحت الجزائر غير قادرة على أداء مهامها والوفاء لجماهيرها، وسعي سلطة إلى إعادة احتلال المجال العام[٣٧].

وفي عام ٢٠١١ بعد (الثورات العربية)التي حدثت في المنطقة اندلعت اضطرابات في الجزائر وأخذت طابعاً وطنياً امتد في معظم الجزائر بسبب ارتفاع الاسعار، والفساد السياسي – والاداري في مؤسسات الدولة ، وقام على أثرها الرئيس (عبدالعزيز بوتفليقة) إلى الإعلان عن مبادرة اصلاحات سياسية، واستجاب للتحولات المحلية، والإقليمية، وقام بتعزيز الديمقراطية ، في المجال العام، وأقام بإصلاحات اقتصادية، واجتماعية وتحول النظام في الجزائر، من النظام الاشتراكي الذي كانت فيه الدولة، هي المحتكرة، لوسائل الإنتاج والتوزيع والتسويق إلى النظام الليبرالي (اقتصاد السوق) استطاع تنشيط التجارة والإنتاج المحلي[٣٨].

سابعاً: الأماكن العامة .

الملاحظ ان تعدد الأماكن العامة، في الجزائر التي تعد خاضعة، وبيئة مناسبة للشعب كالحدائق، والساحات، والمتنزهات والساحات، والشوارع، والأرصفة والمقاهي، والمكتبات العامة، والنوادي الترفيهية والملاعب، إي مكان عام يلتقي فيه الإفراد من مختلف الشرائح الاجتماعية، للإبداء عن الرأي والمواقف في مختلف القضايا، والقوانين، ومناقشة فيما بينهم من الأمور السياسية

٣٧– عبد الباسط دردور،العنف السياسي في الجزائر وأزمة التحول الديمقراطي ،طبعة أولى ،دار الأمين للنشر والتوزيع،القاهرة، ١٩٩٦، ص١٤٢.

والاجتماعية، والاقتصادية التي عرفها الجزائر حراكا سياسيا على مختلف الأصعدة[٣٩].

ثامناً: المجال العام الافتراضي .

ان سبب التطور الذي حصل في مجال التقدم التكنولوجي، وإقبال العديد من المجتمع، على وسائل التواصل الاجتماعي، وفهم القدرة على جمع المعلومات، عن طريق التواصل فيما بينهم وممارسة كل انواع الاستهداف والتسقيط من قبل الناشطين ضد الحكومة[٤٠].

الخاتمة

اظهر البحث هنا بان المجال العام في دولة الجزائر كان ضعيفاً ومحدوداً لحد ما بسبب المستعمر، ومن ثم السلطات السياسية، التي تعاقبت على الحكم، ولكن ظهر بعض الشي بسبب الافكار التي ظهرت في المقاهي، والنوادي الثقافية الساحات والشوارع ،أدت إلى انفتاح في المجال العام وأصبح له تأثير ملموس عبر المساجد، والمقاهي، كان هدفها تحقيق الاندماج الاجتماعي والسياسي والعدالة الانتقالية، والمساواة إمام القانون، وقيام الديمقراطية، لا تتحقق بدون وجود مجال عام منفتح على كافة الأصعدة.

ان استعمال المجال العام في الغرب، ساهم في التطور الاجتماعي، والاقتصـــادي، والسياســـي، وساهم في تشكيل ساحة للرقابة على السلطة السياسية والمشاركة فيها، اما فـــي المجتمع الجزائري ــ وفي مجتمعات دول عالم الجنوب، فانه قد تحول إلى أداة تستعملها السلطة في التحكم في الوضع

٣٩-جورج بوردو ، الدولة ، ترجمة سليم حداد ، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٢، ص٥٤ .

[40] -Al-Alawi, Rashid (2014) the public space from Hagerman to Nancy fraser, journal of delta n. p20 >

الاجتماعي، والانفراد في الحكم إن هذا الدور العكسي للمجال العام في مجتمعات دول عالم الجنوب، لا يمكن استيعابه إلا عندما يدرس ضمن إطار أشمل يتبنى التاريخ السياسي الذي تشكلت فيه الدولة، والتاريخ الاجتماعي الذي أنتج الطبقات الاجتماعية الحالية.

وعليه إن ما نسميه المجال العام في الجزائر وعالم الجنوب، لا يمكن أن يتجاوز الحدود المادية لهذا المفهوم، لأن استعماله كشف أن "السلطة السياسية الحالية، تسير على وفق حسابات تفرضها وترسمها رغبة البقاء، والاستمرار، وبالتالي، فإن المجال العام، كسلطة مضادة، وكأداة تنتظم فيها العلاقات السياسية، وكمجال للحرية والديمقراطية، لم يتشكل بعد في المجتمعات العربية بصفة عامة. وشكله مرتبط بالدرجة الأولى، بمدى قدرة الديناميكية، الاجتماعية الحالية، وديناميكية العولمة، على تحرير ديناميكية أخرى، تستطيع تغيير موازين القوى الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، وحتى الثقافية، ليصبح المجال العام منتدى لجميع المواطنين بدون استثناء ليثمر توافق وطني كامل بين كافة اطياف المجتمع وتحقيق المصلحة الوطنية على المصالح الخاصة. وتوصلت هذه الدراسة إلى الكشف عن أهمية المجال العام في الجزائر والمساهمة في تشكيل ساحة للرقابة على السلطة السياسية والمشاركه فيها.